

زيارة الأربعين والقيم الاجتماعية العالمية

د. جعفر محمد أيوب

باحث أكاديمي تربوي-البحرين

Dr.jafarayoob@gmail.com

ملخص البحث

زيارة الأربعين تحوّلت إلى حدث عالمي من أعظم الأحداث في العالم، طوفان بشري هائل يقدر بالملايين، لا نظير له في العالم، نقلت هذه المسيرة المليونيّة العملاقة من البعد المحلي الإقليمي الطائفي إلى البعد العالمي.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم القيم الاجتماعية العالميّة المتضمّنة في زيارة الأربعين والشعائر الدينيّة وخصائصها الاجتماعية، وهي القيم الأساسيّة العالميّة المشتركة ذاتها التي تتمسك بها البشريّة ولها أهميّة حيويّة في العلاقات الدوليّة في القرن الحادي والعشرين بحسب تقارير الأمم المتحدة، معتمدين في تناولها على المنهج الوصفي التحليلي.

وتوصلت إلى أن أهم القيم الاجتماعية العالميّة التي تغرسها زيارة الأربعين في نفوس الملايين من العالم، هي: التضامن، والكرامة، والحرية. وهي قيم إنسانيّة مشتركة بين كل الأمم في جميع القارات في العالم، وهي من أهم المعايير العالميّة التي يتحدّد على أساسها احترام إنسانيّة الإنسان وحمانيته، وتنتهي بخاتمة لأهمّ ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ومقترحات، ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحيّة: زيارة الأربعين، القيم الاجتماعية العالميّة، التضامن، الكرامة، الحرية.

Arbaeen visit and global social values

D. Jaafar Muhammad Ayoub

Academic educational researcher - Bahrain

Abstract

Ziyarte AL-Arbaeen has turned into a global event of the greatest magnitude in the world, a massive human flood estimated in the millions, unparalleled anywhere else in the world. This monumental procession has transformed from a local, regional, and sectarian dimension to a global one.

The aim of this study is to shed light on the most important global social values embodied in Ziyarte AL-Arbaeen and its religious Observance and social characteristics. These are the fundamental universal values that humanity adheres to and hold vital importance in international relations in the 21st century, according to United Nations reports. The study adopts a descriptive-analytical approach in addressing these values.

It has been concluded that the most significant global social values instilled by Ziyarte AL-Arbaeen in the hearts of millions worldwide are solidarity, dignity, and freedom. These are shared human values among all nations across continents. They serve as crucial global standards that determine the respect and protection of human dignity. And it concludes with the culmination of the study's findings and recommendations. May Allah grant us success and guidance.

Keywords: Ziyarte AL-Arbaeen, Global social values, Solidarity, Dignity, Freedom.

المقدمة

زيارة الأربعين تحوّلت اليوم إلى حدث عالمي من أعظم الأحداث في العالم، طوفان بشري هائل يقدرّ بالملايين، لا نظير له في العالم، نقلت هذه المسيرة المليونيّة العملاقة من البعد المحلي الإقليمي الطائفي إلى البعد العالمي، وكسرت الحاجز المذهبي والديني، وتخطّت التحيزات العنصريّة والقبلية والعنصريّة والطائفيّة والدينيّة، يشارك فيها حشود هائلة من البشر من مختلف الأجناس والأعراق والقوميّات والبلدان والأديان والمذاهب.

شعب العراق الوفي الكريم الشجاع خرج بأكمله تلقائياً وطوعاً من جميع المحافظات ليعخدم الحشود المليونيّة من الزائرين حتى افرغت بعض المحافظات العراقيّة من أهلها؛ من أجل أن يحافظ على النظام والأمن، ويوفّر الماء والغذاء، ويقدم الخدمات الصحيّة والدوائيّة، ويسهّل حركة المرور والعبور في مدينة كربلاء والنجف وفي جميع المدن المؤدّيّة إليها، ويسهر على خدمة الزائرين المشاة المنتشرين لمسافات تقدّر بمئات الكيلومترات.

هذه الزيارة المليونيّة والظاهرة البشريّة العالميّة لم تحدث تلبية لنظريّات كلاسيكيّة أرضيّة ولا دراسات أمبريقيّة مُقولبة، بل انطلقت من حقيقة جسّدت على واقع أرض كربلاء، وغمرتها بالدماء، وتناثرت فيها أشلاء أجساد أطهر الخلق، وتطايرت عليها أكفّ كريمة معطاءة لم يعرف العالم مثيلاً لها.

هزّت كل النظريّات الكلاسيكيّة التي عرفتها العلوم التربويّة والاجتماعيّة والتنشئة الاجتماعية، وأحدثت صدمة سوسيولوجيّة فتحت باباً لعلوم جديدة في التربية الروحيّة والقيم المعنويّة العالميّة والمبادئ السامية، ورسمت مستقبلاً لمدرسة

القيم الروحية العالمية، التي هزّت مسامع كل المجتمع البشري العالمي، وزلزلت أفكاره، واستحوذت على عقله وقلبه، وفرضت نفسها على الإعلام العالمي.

ولما تقدم، تكمن أهمية دراسة زيارة الأربعين المليونية، التي لم تعد محصورة بطائفة محدّدة، وإنما تحوّلت إلى تعبئة قيم روحية تربوية اجتماعية عالمية لجميع المسلمين، ولأغلب الأديان في معسكر كربلاء المقدّسة، يعيش فيه الزائر الصفاء والنور؛ لأنه يقترب من الحسين (عليه السلام)، وينهل من علوم مدرسة الحسين (عليه السلام)، إذ لا يوجد أي مربي غير الحسين (عليه السلام) يمكن أن يؤلّف القلوب ويطهّر النفوس، مهما كان عالماً أو فيلسوفاً، رئيساً أو قائداً.

إن لهذه الدراسة أهمية في الكشف عن بعض الأسرار الإلهية الواردة في زيارة الأربعين التي أودعها لدى الأئمة الأطهار من علوم سماوية وتعبئة روحية تربوية نفسية واجتماعية، وبناء ثقافة القيم البشرية المشتركة العالمية، وتنمية الفكر والوعي الذاتي والتنشئة الاجتماعية المتناسكة الموحّدة التي تتميز بقوة جذب روحية عالية تتفوّق على كل وسائل الإعلام الهدامة المعادية للإنسانية.

وهي تعدّ رافداً في غاية من الأهمية لتصحيح الأفكار الخاطئة والمشوشة، وتغيير الأيدولوجيات المشوّهة حول القيم الإنسانية الاجتماعية التي يهتف بها زوّار الأربعين؛ ذلك أن زيارة الأربعين تعلّم دروساً في القيم لا تعلمها أي تجمعات أخرى، وتحمل شعارات ومبادئ وقيم لا تحملها أي مسيرة بشرية في الوجود، وهي بمثابة المعلم والمربي للقيم الأصلية العالمية، وتعطي جرعات إيمانية سنوية دائمة لتجعل البشرية في هذا العالم محصّنة باستمرار من التأثيرات الخارجية والتفسيخ الأخلاقي.

لذلك، هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم القيم الاجتماعية العالمية

المضمنة في زيارة الأربعين والشعائر الدينية وخصائصها الاجتماعية، وهي القيم الأساسية العالمية المشتركة ذاتها التي تتمسك بها البشرية ولها أهمية حيوية في العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين بحسب تقارير الأمم المتحدة، معتمدين في تناولها على المنهج الوصفي التحليلي.

واقترعت دراستنا بحسب حدود البحث على أهم ثلاث قيم إنسانية عالمية مشتركة: التضامن والكرامة والحرية.

الإشكالية

الإصرار على فكرة احتكار التعليم والتربية في المدارس والجامعات والمعاهد التعليمية بوصفها الحالي تعدّ فكرة سطحية وساذجة، تسعى إلى حرمان العالم الإنساني من التربية الروحية، واستلهاهم القيم النبيلة، والمبادئ الإنسانية، والتنشئة القلبية الاجتماعية.

بالرغم من التقدم العلمي الهائل والمتسارع، والقفزات التكنولوجية الجبارة التي حققتها البشرية في هذا العصر من تطوّر معرفي وتكنولوجي باهر، الذي تجلّى في الانترنت والطائرات المسيّرة والذكاء الاصطناعي ووسائل التواصل الالكتروني والفضاء الرقمي والروبوتات الذكية، والنانو تكنولوجي، والتكنولوجيا الحيوية، والمكتبات الرقمية والفضاء السيبراني؛ إلّا أن الحضارة المادية لم تقدّم تطوراً مماثلاً في اكتشافات الأساس لتلك الطاقات الكامنة في الحشود البشرية المليونية كما هي في محضر زيارة الأربعين والتعبئة الروحية الاجتماعية السامية، التي هبّت من ذاتها من دون ترغيب ولا تهيب ومن دون مبالاة أو خوف، تخطّت كل أنواع الارهاب والصعوبات، وسدّت أسماعها عن كل تعيير وتشويش وتشويه واتهام، وبذلت أموالها

وحملت أرواحها على أكفّها في سبيل الزحف نحو كربلاء بكل إصرار وشوق ليسجل أسمها في سجل الزائرين.

ما سرّ هذه الطاقات الروحيّة الهائلة في الزائرين؟ من أين استمدّ هؤلاء هذا المخزون الروحي؟ لما انتظمت هذه الحشود المليونيّة تلقائيًا في نسيج اجتماعي واحد متماسك في جوّ من الحب والمودّة والترابط والتعاون؟ من أشعل هذه النفوس المليونيّة لتتفت بصوت واحد ضدّ الظلم، والقهر، والإذلال، والإرهاب الدموي، وتنادي بالكرامة والسلام والاصلاح والحقوق الإنسانيّة؟ من أين تعلّمت كل هذه القيم الإنسانيّة والمبادئ النبيلة: من تضامن وتعاون وكرم وإيثار وتكافل وتعايش وتسامح؟ كيف تفجّرت كل هذه الطاقات الكامنة الهائلة من الزائرين من مختلف الدول ومن العراقيين بالخصوص لتمشي كل تلك المسافات التي تقدّر بمئات الكيلومترات بشوق وإخلاص إلى كربلاء؟ لما هذا العطاء والبذل والكرم والسخاء والتفاني من العراقيين من دون مقابل، بل ويشعرونك أنت المتفضّل عليهم والمتحنّن عليهم؟

علينا الاعتراف بأننا نجهل طبيعة هذه المسيرة التي حرّكت الملايين من مختلف الاجناس والأعراق من العالم، المشهورين والمغمورين، الأغنياء والفقراء، العلماء والبسطاء، ومن كلّ الأديان والمذاهب. زيارة الأربعين منبع واسع وعميق وصافي، ومحرك فائق التأثير للقيم الإنسانيّة الاجتماعية العالميّة والتربية الروحيّة والتعليم القلبيّة، ومدرسة تربويّة تعليميّة حسيّنة يتعلّم فيها الزائرون من الإمام الحسين (عليه السلام) القيم الإنسانيّة والمثل السامية. من هنا تبرز الإشكاليّة الحرجة للكشف عن القيم الاجتماعية العالميّة التي تحتزنها زيارة الأربعين لتحوّل إلى أضخم حدث عالمي، وأضخم تعبئة روحيّة بشريّة مليونيّة سنويّة أدهشت المراقبين الدوليين؛ ذلك أن التعبئة

التربويّة في الأربعين لا يستطيع أن يصنعها أي نظام تربوي أو دولي في العالم. فما القيم الاجتماعية العالميّة التي تغرسها زيارة الأربعين في نفوس الملايين من العالم وتجذب هذا الطوفان البشري الهائل؟ وما خصائصها الاجتماعية التي تنفرد بها؟

لذا ستقتصر دراستنا على أهمّ القيم الاجتماعية العالميّة في زيارة الأربعين، والإجابة عن التساؤل التالي: ما القيم الاجتماعية العالميّة التي تعززها زيارة الأربعين في نفوس الملايين من العالم، وما خصائصها الاجتماعية؟

أولاً: التضامن

لا نقصد بالتضامن الاجتماعي تلك الحركة الآليّة اللاإراديّة التي تشبه حركة الانسان البدائي داخل عشيرته من خلال سلوكه مع أعضاء قبيلته أو طائفته (بسكرة ٢٠٢١)، كأنه فرد تائه يسير في طاعة الجموع، لا يملك الارادة والاختيار، وسيلة الضبط الجمعي فيها العادات والتقاليد والتبعية.

التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين، تضامن مع القيم الإنسانيّة والمثل العليا التي مثّلها الحسين ونادى بها وضخّى من أجلها، ومنها: العدل والمساوات والحرية، ورفض الظلم والإذلال والقهر والحرمان، وهي قيم إنسانيّة ملك للبشريّة كلها، ولكل المجتمعات، بغض النظر عن حضارتهم وثقافتهم ودينهم.

التضامن مع الحسين (عليه السلام) في مواقفه وأفعاله وأقواله، ويعبّر عن التسليم التام لأمره وطاعته، والاستعداد الكامل للجهاد والنصرة له، والبراءة من أعدائه. ويعلن الزائر ذلك بوضوح بقوله في زيارة الأربعين: «قلبي لقلبيكم سلم، وأمرني لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتى يأذن الله لكم،... معكم لا مع عدوكم» (المجلسي ١١٠٦ هـ)

التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين يتميز بخصائص منفردة عن أي تضامن آخر في العالم، من هذه الخصائص المميّزة ما يأتي:

التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين تضامن مع الحسين (عليه السلام)، تضامن مع قائد هذه المسيرة المليونية، وهو تضامن مع إنسان حي وليس ميت، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة)، يعتقد الزائر في وجدانه أن الحسين حيّ، يرى زوّاره، ويسمع كلامهم، ويعرفهم بأسمائهم، وينظر إلى بكائهم، ويحيب على سلامهم؛ كما ورد في إذن الدخول في زيارة الحسين (عليه السلام) المطلقة، وزيارة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته، كما أعتقد في حضرته، وأعلم أن رسلك وخلفاءك أحياء عندك يرزقون، يرون مكاني في وقتي هذا وزماني، ويسمعون كلامي، ويردون علي سلامي، وأنت حجبت عن سمعي كلامهم» (المجلسي ١٩٩٦م).

من ذلك المنطلق، نفهم ذلك التأثير القيمي الأخلاقي الهائل في الحشود المليونية، إذ لا يوجد عامل مؤثر أكثر من التضامن مع قائد حي، وقدوة واقعية وواضحة ليس لها مثيل في التضحية والفداء والعزة والكرامة، والمتمثلة في سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، كلّ الدعوات والنظريات المستوردة والمذاهب والاتجاهات الاجتماعية التي تدعوا المجتمعات للتضامن والعطاء والبذل فشلت؛ لأنها غريبة عنهم لا يملكون عنها سوى التنظير والأحلام الطوباوية، بينما سفينة الحسين (عليه السلام) هي السفينة الحضارية الوحيدة الباقية والقادرة على تحريك الأمة، وتعبئة كل قواها وطاقاتها لتحريرها من الظلم والذلّ والتخلف والتسلط.

إن هذا التضامن الاجتماعي تضامن فطري قلبي، (قلبي لقلبيكم سلم)، فالفطرة الإنسانية السليمة تميل إلى الكمال والقيم الإنسانية السامية والمثل العليا، والإمام

الحسين (عليه السلام) تضامن مع المظلومين واستشهد من أجل المحرومين، وضخى من أجل الفضيلة والقيم، وكلما كان القلب متعلقاً بالحسين (عليه السلام) صاحب الفضيلة، كلما كان القلب طاهراً وسليماً وملهماً نحو القيم والفضيلة.

يشعر الزائر في هذه المسيرة الروحية بالراحة النفسية واللذة في مناجاته، وهذه المعرفة فطرية قلبية، كلما كان قلب الزائر طاهراً وصافياً كان الفهم عظيماً في مناجاته ودعائه وتضامنه، نفهم هذا المعنى من زيارة الحسين (عليه السلام) المطلقة، «وأنت حجت عن سمعي كلامهم، وفتحت باب فهمي بلذيت مناجاتهم» (المجلسي، ١٩٩٥م).

والتضامن من أجل التكامل الأخلاقي، يؤمن الزائر بأن الحسين (عليه السلام) منزّه عن النواقص، ويقرّ بكماله وفضائله، وأنه باب من أبواب الله، وأنه الواسطة بينه وبين الله، وهو وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، كما جاء في دعاء الندبة «بابُ الله الَّذي مِنْهُ يُؤْتَى، أَيْنَ وَجْهُ الله الَّذي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الأولياءُ» (القمي ١٣٤٤هـ)؛ وبالتالي يكون التضامن مع الحسين من أجل التكامل والسمو فردياً واجتماعياً، بالقيم والمثل العليا التي مثلها الحسين بأجلى صورها وأكملها في كربلاء. ويشهد الزائر ذلك في زيارة الأربعين «أشهدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الأصْلَابِ الشَّاخِجَةِ والأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجَّسْكَ الجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا وَلَمْ تُلْبَسْكَ المَدْلَهَمَاتُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَأشهدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ وَأَرْكَانِ المُسْلِمِينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأشهدُ أَنَّكَ الإمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الهَادِي المَهْدِيُّ». (المجلسي ١٦٩٩م)

والتضامن في السلم والحرب، (اني سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم)، وهو مظهر من مظاهر التضامن القلبي، وتضامن في الموقف والاستعداد للنصرة للمبادئ والقيم التي استشهد الحسين (عليه السلام) من أجلها، مع أن الحسين وأبطال كربلاء قاموا بمسؤولياتهم تجاه ربهم، وصنعوا تاريخهم بالكلمة والموقف والمقاومة وبالدم، وكانت المسألة عندهم

هي مسألة القيم والمثل العليا والاصلاح في الأمة، وليس لديهم شيء خاص بهم، ولا ينازعون على سلطة ولا يريدون ثروة؛ إلا أن نصرته الحسين وأبطال كربلاء بأن يفكر المتضامنون بكربلائهم اليوم، وتأخذ من كربلاء الحسين دروساً لتعلم بها في حياتها، وتسير نحو القيم والمبادئ التي سار عليها أبطال كربلاء (فضل الله ١٩٩٧م).

بهذا يكون التضامن استراتيجي ومنهج للحياة، تضام بالولاء للحسين والعداء لمن عاداه، وأعداء أهل البيت (عليه السلام)، وقد عزّزها أهل البيت (عليه السلام) وكرّر ذكرها في الزيارات، ومنها زيارة عاشوراء «إني سلمت لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة»، (ابن الألوقي ١٠٩٣م) هذا التضامن الاستراتيجي أراد به أهل البيت (عليه السلام) أن يكون منهجاً في الحياة لكل المتضامنين معهم، ومرتسماً في قلوبهم وعقولهم وسلوكهم، وأن يكون له تأثيراً ملموساً في نفوسهم وأرواحهم وعقولهم وسلوكهم، وليس مجرد ألفاظ يرددها الزوار، وإنما معاهدة منهم أمام الحسين الشهيد (عليه السلام) بمناصرة أولياء الله ومعادات أعداء الله، ومعاهدة معه على ثبات القدم وثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين، وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام». (المجلسي ١١١١هـ). ورسم تطلعاتهم المستقبلية بالثأر للحسين من أعداء الحسين (عليه السلام) «وأسأل الله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله وأن يرزقني طلب ثأري مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم». (ابن الألوقي ١٠٣٩م) وفي زيارة الجامعة للإمام المهدي (عليه السلام) «إني موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم» (ابن الألوقي ١٠٣٩م) وفي زيارة الإمام الكاظم عليه السلام «أشهد الله أني سلمت لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم» (ابن الألوقي ١٠٣٩م).

الجدير بالملاحظة، أن هذا التضامن الاجتماعي متبادل مع الحسين وزوّاره،

كما جاء في دعاء الإمام الصادق (عليه السلام) لزوار الحسين (عليه السلام) «... اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي (عليه السلام) الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسرورًا أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظًا أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك...» (الصدوق ١٣٦٨م)

من ذلك، نجد أن التضامن واجب اجتماعي اقتضته الفطرة وأوجبه العقل وأقرته الشريعة؛ يعلن الزائر هذا التضامن ويظهره من دون إخفاء في يوم الأربعين مع الملايين، ليدخل السرور على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار ويشعل الغيظ في قلوب أعدائهم، بأشكال متعددة، إمّا لفظياً عن طريق الهتافات والشعارات والدعوات والزيارات والعزاء والصرخات الغاضبة، وإمّا مشياً على الأقدام لمسافات قد تصل إلى عشرات الكيلومترات للوصول إلى مرقد الشريف، وإمّا باكيًا حزينًا متألمًا متأملًا لمصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإمّا مشاركًا في المواكب الخدمية للزوار ليسقي الزوار الماء ويقدم الطعام والشراب.

يحث هذا التضامن العالمي في مسيرة الأربعين الإمام الصادق (عليه السلام) عند دعائه لزوار الحسين (عليه السلام): اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش...» (المجلسي، ١١١١هـ)

تبين مما سبق أن التضامن في مسيرة الأربعين مظهر من مظاهر الولاء للحسين وأهل

البيت (عليه السلام)، نستلهم ذلك من دعاء الإمام الصادق لزوار الحسين عليهما السلام، الذي يحمل بعض من أسرار التضامن المليونى مع الحسين (عليه السلام)، وأن هذا التضامن الاجتماعي للحشود المليونية مظهر من مظاهر الولاء مع الحسين عليه السلام، يؤكد فيه الزائر أنه مع الحسين ومع أنصاره وأتباعه وخدامه، ويرفض أن يكون مع أعدائهم ومبغضهم، وأن هذا التضامن ذاتي طوعي نابع من حبه للحسين (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وغير تابع لأوامر السلطات ولم تحركه المصالح الشخصية، وأن هذا التضامن ثابت لا يتأثر بالتغيرات الإعلامية والسياسية، ولا يبالي بالإعلام المعادي ومحاولات التشويه والتوهين لنهضة الحسين (عليه السلام)، وحفلات الفرح والمرح التي يقيمها اليزيديون في أيام أحزان أهل البيت (عليه السلام). (لصفر ٢٠٢٤)

وأن هؤلاء المتضامنين مع الحسين بالبكاء عليه، وبالصراخ باسمه، والمشى لمسافات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة وفي الظروف القاسية، وعقد مجالس العزاء، وخدمة المعزّين بتوفير الطعام وسبل الراحة، يستغفر لهم الحسين (عليه السلام) والرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

كما يشير الدعاء إلى أن كل صور التضامن مع الحسين (عليه السلام) تعبر عن ظاهرة اجتماعية حضارية للأمم، تفرح الحسين وأهل البيت (عليهم السلام) على الرغم من التشويش والتشويه والتعير في الإعلام المعادي، وعلى الرغم من وضع العراقيل والصعوبات التي تحاول أن تحدّ وتمنع من تدفق بعض الزوار للوصول إلى كربلاء المقدسة.

يتضح لنا مما تقدّم ان عالمية قيمة التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين، وسرّ تدفق الملايين لكربلاء المقدسة الذي تجاوز عددهم وفقاً لمنظومة العدّ الإلكتروني التابع لمركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة (مركز كربلاء ٢٠٢٤) (من يوم ١ صفر الخير لغاية الساعة ١٢:٠٠ ظهراً يوم ٢٠ صفر الخير لعام ٢٠٢٣ م حوالي اثنان

وعشرون مليوناً وتسعة عشر ألفاً ومائة وستة وأربعون زائراً (٢٢١٩١٤٦ زائر).

وبمشاركة الملايين من الأجانب من دول مختلفة، ومن مختلف القارات في العالم، وكما رصدت نسب الزوار بحسب القارات على النحو الآتي:

ت	القارة	عدد الزائرين
١	قارة آسيا	٣,٩٣٦,٩٧٥
٢	قارة أفريقيا	٥,٧٣٣
٣	قارة أوروبا	٥٤,٢٥٤
٤	أمريكا الشمالية	٨,٩٣٤
٥	قارة أمريكا الجنوبية	٢٣٧
٦	قارة استراليا وبعض المنظمات المشاركة في الزيارة الأربعينية	٥,٩٥٨
	المجموع	٤,٠١٢,٠٩١

من الجدول الإحصائي السابق، ومشاهداتنا لحشود الزائرين واختلاطنا بهم عند زيارتنا لكريلاء في الأربعين لعام ٢٠٢٣م، يتضح لنا أن هذا التضامن العالمي يضم زوّار ينتمون إلى شعوب وأعراق وديانات مختلفة، اختلطت ألوانهم فمنهم أصحاب البشرة السمراء ومنهم أصحاب البشرة البيضاء، واختلفت لهجاتهم فمنهم الناطق باللغة العربيّة ومنهم الإنجليزيّة والفارسيّة والتركيّة وغيرها، وتعدّدت مذاهبهم فمنهم المسلم السني ومنهم المسلم الشيعي، وتواجدت ديانات أخرى مغايرة، كل هؤلاء الزوّار حضروا جنب إلى جنب، وكتف بكتف، للتضامن مع الحسين عليه السلام بقلب واحد ونسيج واحد، وبشكل حضاري سلمي عجزت عن تطبيقه على أرض الواقع كل دول العالم، والامم المتحدة التي تدعوا إلى حقوق الانسان وقيم الحرية والعدالة

والتضامن والكرامة والتعايش والتكاتف وغيرها من القيم الاجتماعية العالمية.

إن هذا التضامن العالمي ضروري لتطوّر المجتمعات وارتقاءها نحو القيم الإنسانية والمثل العليا وتعزيز تماسكها وترابطها ومنحها القوة والعزة والغلبة؛ ذلك أن أي تغيير أو تطوير في المجتمعات لا يمكن أن يتم بصورة تجريدية عن الواقع ومنفصلة عنه، ولا يمكن لأي عملية تضامن عضوي حقيقي أن تتحقق بدون أن تستنفر كل قوى الأفراد والمجتمعات، وتدبجها وتعمل على تفاعلها وتكاملها، إن تفاعل المجتمعات شرط أساسي لإنجاح التضامن الاجتماعي أمام التفكك والضعف والتخلف، ونجاح التضامن الاجتماعي مرهون بتثوير كل الأفراد والمجتمعات، ولا يمكن لأي أمة أن تتطور أو تتغير بوجود منهج تاريخي مكون وساكن ليس فيه حركة، ولا يغير من واقع المجتمعات شيئاً، (الصدر ١٤٢٩ هـ) «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الرعد، ١١)

إن مفهوم التضامن الاجتماعي يتجلى بأبهى صوره في مسيرة الأربعين، ويقضي على أكبر الأزمات التي تعاني منها الشعوب في دول العالم، كالأزمة العنصرية والتمييز القبلي، والأزمة الاقتصادية والأزمة الأمنية، وغيرها من الأزمات، كل هذه الأزمات حلّها في معسكر الحسين (عليه السلام) أيام الأربعين، يعيش فيه الملايين من الزوار في أيام الأربعين حالة الصفاء الروحي والنوري، ويتمنى كل فرد منهم أن يعيش هذه الحالة طول عمره. ويبدى للعالم التحدي في التأثير التربوي بين قيادة سيد الشهداء في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وكل الحضارات والأنظمة والمدارس البشرية وكل المصلحين الاجتماعيين في العالم. (سند ٢٠٢٣ م)

واضح، أن التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين يزداد كل عام بالملايين، لأنه، برأينا، يستند إلى قيم إنسانية مشتقة من ثقافة القرآن الكريم وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام)، وثقافة عاشوراء الحسين (عليه السلام)، ويستند إلى قيم اجتماعية عالمية ترفض مناخ

التفوق والانعزال والتعصب، بالإضافة إلى كفاح أبطال العراق وانتصاراتهم على الدواعش، وجهود العلماء والمفكرين والباحثين وخبراتهم وتجاربهم الحياتية المفتحة على الثقافات الأخرى.

ثانياً: الكرامة

من شعارات الأربعين التي تشير إلى الكرامة والعزة ورفض الذل هي أقوال الحسين (عليه السلام) الخالدة:

«لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إعطاء الذليل، وَلَا أقر إقرار العبيد» (الطبري ٣١٠هـ)، و«وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا» (المجلسي ١١١١م)، و«أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكُزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السَّلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَهِيَهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ، يَا بِي اللَّهِ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهَرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنَفُوسٌ أَبْيَّةٌ مِنْ أَنْ تُؤْثِرَ طَاعَةُ اللَّئَامِ عَلَى مُصَارَعِ الْكِرَامِ» (المقرّم ١٣١٩هـ).

هذه شعارات الأربعين التي ناضل من أجلها الحسين (عليه السلام)، ووحدت صفوف المجتمعات من مختلف العالم في أيام الأربعين، وهب الملايين بكل حماس وحرارة لترفع هذه الشعارات، ومنها: «هيهات منا الذلة»، وعملت على تكوين الحس الاجتماعي وخلقت روح التضامن في نفوس الملايين وحرّرها من مفاهيم الخوف والخنوع وحرّرها من ربة الذل والعبودية ومدّها بروح ثابتة لمقارعة الظلم والتسلّط والإذلال. (القرشي ١٣٤٤هـ)

إن خصائص قيمة الكرامة التي تميّز بها مسيرة الأربعين ما يأتي: الكرامة قيمة إنسانية للحياة وللبريئة كلها، تؤكد مسيرة الأربعين على أن شعارات الكرامة

الإنسانية ورفض الذل ومحاربة الظلم ليست شعارات مرحلية تنتهي بانتهاء ظروف الزمان والمكان، وليست مجرد شعارات تاريخية محنّة غارقة في القدم، ولكنها شعارات للبشرية كلها ومستمرة باستمرار الحياة، يلخص هذه الإستراتيجية قول الحسين (عليه السلام) «موت في عزّ خير من حياة في ذلّ» (لمجلسي ١١١١هـ) هذه الشعارات والقيم الإنسانية (فضل الله ٢٠٠١م) تبعث في المجتمعات العزّة والكرامة والإباء اقتداءً بالإمام الحسين (عليه السلام) سيد الإباء والكرامة الإنسانية (القرشي ١٣٤٤هـ)، ويلهمها القوة والصلابة والصمود والمقاومة والجهاد امتثالاً لشعارات الحسين (عليه السلام) التي رفعها في كربلاء، وجعلها أساساً لثورته وقاعدة لانطلاقة ومسوّغاً لتحركه.

وتمثل مسيرة الأربعين مدرسة روحية عظيمة، ومعسكر تعبئة بالقيم المعنوية السامية، ومعجزة إلهية كبرى، استلهم الشعب العراقي من الحسين (عليه السلام) الكرامة والعزّة والشجاعة والإباء في تحرير أرضه من الدواعش، وتحدي الموت، وترك الأهل، وضحّى بكل ما يملك في سبيل العراق العزيز، وفي سبيل الكرامة والعزّة، وحماية المراقد الشريفة، التي رغب الله تعالى زيارتها تخليداً لذكرهم وإعلاءً لشأنهم وتذكراً بتعاليمهم، كل هذه العزّة والكرامة والشجاعة والصلابة والصمود هي من ثمار مدرسة الحسين (عليه السلام) الروحية، ومن قيم العزّة والكرامة والتضحية والإثار التي ترفعها مسيرة الأربعين، نجدّها اليوم متجدّرة ومتجلية في نفوس إخواننا أبطال العراق من الحشد الشعبي والقوّات العراقية وفصائل المقاومة لمقاومة قوى الاستكبار العالمي والدواعش، سائرين بدرب الحسين الشهيد (عليه السلام) الذي رسمه لخدمته وتلامذته وأبنائه.

والكرامة قيمة إنسانية للبشرية كلها وليست قيمة خاصّة لأحد، نجد ذلك في

مقولة الحسين (عليه السلام) «وأنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر» (المجلسي ١١١١هـ) هذه الوصية للإمام الحسين (عليه السلام) تؤكد بأنه لم ينطلق في نهضته من قيم خاصة خفية لا يعرفها المسلمون، ولا من خلال خصوصية إمامته، لأن قضية إصلاح الأمة وعودتها للقيم الإنسانية تحقق لها الكرامة والعزة، ولم ينطلق الإمام (عليه السلام) من تحيزات عائلية أو قبلية أو عنصرية تتطلع إلى السلطة من موقع الزهو والسيطرة الطاغية، بل من منطلق القيم والمبادئ الإنسانية والرسالة السماوية (فضل الله ١٤١٧هـ).

لا يحق للأمة أن تتنازل عن قيمة الكرامة، ولا خيار للأمة بأن تكون ذليلة، وليس لها الحق في أن تتنازل عن عزّها، يقول الله عزّ وجلّ في محكم كتابه «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (المنافقون، ٨) ويقول الصادق عليه السلام «إن الله فوّض للمؤمن من أمره كله، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً» (المجلسي ١١١١م)؛ من هذا المنطلق، يضحى الإمام (عليه السلام) بدمه وأهله في سبيل قيم العزة والكرامة في الأمة، ويشهد الزائر في زيارة الأربعين أن الحسين (عليه السلام) «بَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَفِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مَن غَرَّتْهُ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْدَلِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا حَتَّى سَفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمُهُ وَاسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ» (المجلسي ١١١١هـ).

الكرامة تعتبر معيارا عالميا لمدى احترام البشرية بإنسانية الانسان، وقيمة إنسانية

من أهم القيم الإنسانية العالمية، وأهم معيار عالمي يتحدد على أساسه مدى الاهتمام بحقوق الانسان وحمايته واحترام توجهاته، ورفض هذه القيم الإنسانية العظيمة وسلبها من أي شخص كان هو في الحقيقة رفضا لكل الحقوق والمبادئ الإنسانية التي تنادي بها الفطرة الإنسانية السليمة ويجمع على احترامها كل الشعوب.

من جهة أخرى، يتطلب احترام قيمة الكرامة الإنسانية ألا تكون هناك أي قيود تعسفية يسمح بفرضها على الانسان كالتعذيب والاغتالات والمعاملة المهينة، أو التهجير القسري أو الإخفاء القسري، ولا يحق لأي مجتمع من المجتمعات أو أي دولة من الدول حرمان أي فرد من كرامته، بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والسياسية لأي بلد، أو توجهات الانسان السياسية أو الدينية أو السلوكية (الأمم المتحدة ٢٠١٢).

إن قيمة الكرامة هي إحدى القيم الإنسانية العالمية التي جذبت الملايين إلى أرض كربلاء ووحدت صفوفهم، كما كان أصحاب الحسين (عليه السلام)، من عشائر تتوزع على مجمل الجزيرة العربية وغيرها، وكانوا قبل أن يجتمعوا في كربلاء متفرقين حتى في خطوطهم وانتماءاتهم السياسية، ولكن الشعارات التي رفعها الحسين (عليه السلام) والقيم الإنسانية التي مثلها الحسين (عليه السلام) هي التي وحدتهم وجذبتهم إلى الحقيقة الواحدة والرسالة الواحدة، فتوحدوا بالحسين، واجتمعوا على اسمه، حتى بعد أن جعلهم في حلٍّ من بيعته، لكنهم شعروا أن البيعة ليست الأمر الذي يربطهم به، إنما الرسالة التي يؤمنون بها من خلال قيادة الإمام الحسين، والخط الذي يتحركون فيه على أساس إمامته، فتوحدوا بالحسين وتوحدت قيمهم وشعاراتهم وكلماتهم ومواقفهم ودمائهم. (فضل الله ١٤١٧هـ)

ثالثاً: الحرية

نعني بالحرية أن الإنسان حرّ عزيز أمام الناس وذليل لله فقط، على هذه القاعدة الأساسية الثابتة لقيمة الحرية التي رسمها لنا الحسين (عليه السلام) نكون أحرار وأعزاء، وعندما يراد للأمة الخضوع للإرهاب والظلم والاستكبار وسلب حريتها وعزتها وإسلامها عليها أن ترفع شعار الحسين عليه السلام «هيهات منا الذلة». (فضل الله، ١٤١٧هـ)

من ذلك الأساس، فإننا يمكن نجمل بعض من خصائص قيمة الحرية التي ترفعها زيارة الأربعين على النحو الآتي: حرية ترفض الانهزام والخضوع والتبعية والتسلط ليعيش الإنسان عزيزاً، يقول الامام الحسين (عليه السلام) في رفضه لبيعة يزيد «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد» (المجلسي ١١١١م)، اقرار الأحرار لا إقرار العبيد، الحسين (عليه السلام) حرّ في اختياره، ويرفض التسلط والاستكبار مهما كانت قوة الإرهاب وكثرة معاونيه وأتباعه، وبذلك يشهد الزائر في زيارة الأربعين «وَقَدْ تَوَازَرَ عَلَيْهِ مِنْ غَرَّتِهِ الدُّنْيَا، وَبَاعَ حَظَّهُ بِالْأَرْضِ الْأَدْنَى، وَشَرَى آخِرَتَهُ بِالْثَمَنِ الْأَوْكَسِ، وَتَغَطَّرَسَ وَتَرَدَّى فِي هَوَاهُ، وَأَسْخَطَكَ وَأَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَأَطَاعَ مِنْ عِبَادِكَ أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَحَمَلَةَ الْأَوْزَارِ الْمُسْتَوْجِبِينَ النَّارَ، فَجَاهَدَهُمْ فِيكَ صَابِراً مُحْتَسِباً حَتَّى سَفِكَ فِي طَاعَتِكَ دَمَهُ وَاسْتَبِيحَ حَرِيمَتَهُ» (ابن قولويه ١٩٣٧م).

حرية الصمود والتحدّي، نتعلمها من مسيرة الأربعين وزيارة الحسين (عليه السلام)، والروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) التي تحت على زيارة الأربعين، وتحشد لزيارة الحسين حتى في أقسى الظروف، تزرع في نفوسنا قيمة الحرية، وترسخ في نفوسنا تحدي الأعداء، والعناد من أجل الحق، وتؤكد لنا من جهة أخرى، أهمية قيمة الحرية

عند أهل البيت، وأخذ القرار الشجاع الجريء بالوقوف مع الحسين عليه السلام مهما كانت الظروف، من هذه التعاليم التي تحثنا لزيارة الحسين ولو عن خوف «لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف» (ابن قولويه ١٩٣٧م)، وزيارة الحسين ولو قيل فينا ما قيل «لَلَّهِمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِهِمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ» (المجلسي ١١١١م)، بالإضافة إلى الشعارات التي تتحدى فيها الأعداء، والتي وردت في زيارة الحسين الجامعة، ونرفع أصواتنا بها «مَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ غَيْرِكُمْ»، وشعارات تنحاز إلى الحسين وتنادي بنصرته «وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ» (المجلسي ١١١١م) كلها شعارات تحدي، وإعلام مقاوم لأعداء الحسين وأهل البيت عليهم السلام.

والحرية لجميع الزوار بالعضوية الفاعلة في مسيرة الأربعين، قلب الحسين مفتوح لكل الناس ولكل العالم، والحرية للجميع في مسيرة الأربعين لزيارة الحسين عليه السلام، كل النساء والرجال لهم الحرية بالحضور، والمشي على الأقدام، وحرية الدخول إلى الحرم الشريف، وحرية الحضور للصغار والكبار، والأطفال والشيخوخ، والأغنياء والفقراء، ولكل الديانات والشعوب. ولهم الحرية بالتطوع بشكل فردي أو جماعي، يجد الزائر في الأربعين أن الناس تحولوا كلهم إلى خدم لزوار أبي عبد الله، يتحركون بحرية ويتطوعون بحيوية ويهتفون بالحسين بجرأة وثبات، ويعزّون ويتوسّلون ويدعون بكل حرية واطمئنان، ويمارسون العبادة بكل بحرية، ويتبادلون مشاعر الحب والمودة والتسامح والتكاتف فيما بينهم، مع أنهم لا يعرفون بعضهم بعضاً، وقد لا يعرفون لغة بعضهم بعضاً، يجمعهم فقط حب الحسين، يأكلون ويشربون وينامون مع بعضهم بكل اطمئنان ومن دون خوف ولا قلق.

حرية الحب والبغض، حب الحسين عليه السلام وبغض أعدائه، عن الإمام الصادق عليه السلام «وהל الإيمان إلّا الحب والبغض» (الكليني ٣٢٩هـ)، وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً» (ابن الألوقي ١٠٣٩م)، حب الناس للحسين، وحب زيارته، والوفود إليه، وحب التحلي بالقيم والمثل التي ضحى من أجلها، هو في الحقيقة حبّ الله، وهو الإيمان بعينه، إن معركة كربلاء لم تكن معركة من أجل سلطة أو من أجل مطامع ومغانم، بل أنها معركة قيم إنسانية، يتقابل فيها محوران، محور يجسّد كل القيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية بأبهى صورها وتجلياتها، ومحور آخر يمثل أبشع صور الرذيلة والانحطاط والجرائم الأخلاقية والإنسانية؛ وبذلك يكون أحباب أهل القيم والفضيلة هم أحباب الله وأوليائه، وأحباب أهل الرذيلة والإجرام هم أعداء الله.

بذلك، تمثل زيارة الأربعين مدرسة ومنهجاً للتربية القلبية، الحب هو مصدر الحركة ومنبع الطاقة لكل القيم الإنسانية، والعطاء والكرم بدون مقابل مضرب المثل والحدث الأهم في العالم، والتضحيات التي تقدم من أجل أمن الزوار، والصبر المتواصل في المشي والزحام وصعوبة الوصول إلى حرم الامام عليه السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّن أحدٌ أنه في الجنة، فإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر منها في الآخرة. أما التي في الدنيا: فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، واليأس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجل، والتاسعة بغض الدنيا، والعاشرة السخاء. وأما التي في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له

ميزان، ويعطى كتابه يمينه، وتكتب له براءة من النار، ويبيّض وجهه، ويكسى حلل من حلل الجنة، ويُشفّع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة، ويُتوّج من تيجان الجنة، والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب، فطوبى لمحبي أهل بيتي» (ابن الألوقي ١٠٣٩م).

الحرية معيار لاحترام إنسانية الإنسان، وحرية الاصطفاف مع أولياء الله والتحلّي بأخلاقهم ومفارقة أخلاق أعدائهم معيار لأهل الخير والإنسانية، ومعيار معرفة أهل الخير والصلاح في هذا العالم حبّ أهل طاعة الله عز وجل، ومعيار معرفة أهل الشر حبّ أهل معصيته، قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففك خير، والله يحبّك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك، والمرء مع من أحبّ» (الكليني ٣٢٩هـ).

هؤلاء الملايين الذين يتدفقون إلى كربلاء في مسيرة الأربعين حبّاً في الحسين (عليه السلام)، هم أهل الخير والصلاح، لأنهم أحباب الحسين وأحباب من يحبون الحسين؛ فيحبهم الله، وأعدائهم هم أهل الشرّ لأنهم يبغضون الحسين ويبغضون أحباب الحسين فيبغضهم الله.

ويتجلّى هذا المعنى في زيارة أمين الله، زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، لتفرّق بين صفات أهل الخير والصلاح وأولياء الله وبين صفات أهل الشرّ وأعداء الله، وخاصة عندما يقرأ الزائر ويدعو: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، مولعة بذكرك ودعائك، محبة لصفوة أوليائك، محبوبة في أرضك وسمائك، صابرة على نزول بلائك، شاكراً لفواضل نعمائك، ذاكرة لسوابغ آلائك، مشتاقة

إلى فرحة لقاءك، متزودة التقوي ليوم جزائك، مستنّة بسنن أوليائك، مفارقة لأخلاق أعدائك، مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك...» (ابن قولويه ١٩٣٧م) هذه الزيارة العالية المضامين تعرض الكثير من صفات أهل الإيمان، المحبين لأولياء الله، وتكشف عن القيم الاجتماعية الأخلاقية التربوية الروحية التي ينبغي للزائر أن يتحلّى بها، والصفات الدنيئة التي يتوجب عليه أن يتركها وينزّه نفسه عنها من مبادئ الشر وأخلاق أعداء الله.

الحرية كما الكرامة هما قيمتان عالميتان وفي الوقت نفسه مصدران من مصادر حقوق الإنسان وأساسها، وهما معياران يجب استخدامها للاسترشاد في تفسير القوانين الحقوقية للإنسان ومدى تعزيزها واحترامها (الأمم المتحدة، ٢٠١٢).

والحرية أساس الاستقرار في العالم، وتعبّر أغلب دول العالم عن حاجتها إلى ضمان الحرية والكرامة كشرطين لمراعاة حقوق الإنسان الأساسية والاستقرار العالمي، وهذه الفكرة موثقة في أهمّ الاتفاقات الإقليمية: اتفاقية حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية (الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان)، والاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب (الأمم المتحدة ٢٠١٢)، وبالتالي لا يمكن تحقيق الأمن والاستقرار والتطور والرفاهية لأي بلد من البلاد إلاّ بنشر الحرية وضمان الكرامة لأفراده على أساس احترام إنسانية الإنسان.

الخاتمة

النتيجة التي نصل إليها في نهاية بحثنا، أن أهم القيم الاجتماعية العالمية التي تغرسها زيارة الأربعين في نفوس الملايين من العالم: التضامن، والكرامة، والحرية. وهي قيم إنسانية مشتركة بين كل الأمم في جميع القارات في العالم، وهي من أهم المعايير العالمية التي يتحدد على أساسها احترام إنسانية الإنسان وحمايته؛ مما جعلها مسيرة الملايين، ومحل جذب لكل الأخيار في العالم، وبعدد هائل يفوق (٢٢) مليون زائر. بداية، التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين، يعني تضامن مع الحسين (عليه السلام) وأنصاره، والقيم الإنسانية والمبادئ السامية، وينفرد هذا التضامن بخصائص، منها: التضامن فطري قلبي، وواجب اجتماعي اقتضته الفطرة وأوجبه العقل وأقرته الشريعة، والتضامن يكون مع الحسين الشهيد المظلوم الحي، يسمع كلام زوّاره ويردّ سلامهم، ويرى مكانهم، والتضامن على السلم والحرب مع الحسين، والبغض لأعدائه.

إن كل مظاهر التضامن الاجتماعي في مسيرة الأربعين هي مظاهر الولاء لأهل البيت (عليه السلام): المشي إلى حرم الحسين، والحضور في مجالس العزاء والمواكب، والبكاء، والزيارة، والدعاء، والصلاة، وتقديم الخدمة، وتنظيم الحركة، وإدارة الجموع، وغيرها.

أمّا قيم الكرامة، فهي كل الشعارات التي تشير إلى الكرامة والعزة ورفض الذلّ من أقوال الحسين (عليه السلام)، ومنها «هيهات منّا الذلّة» التي عملت على تكوين الحسّ الجمعي وحرّرتها من الخوف والخنوع والذلّ، ومدّتها بالصمود والثبات لمحاربة الظلم والإرهاب والتسلّط، ومن خصائصها أنها قيم إنسانية للحياة كلها وللبنية كلها، ولا يحق لأيّ أمة التنازل عن كرامتها.

أخيراً، قيم الحرية، تعني أن يعيش الإنسان عزيزاً حراً أمام الناس وذليلاً لله فقط، ومن خصائصها: حرية الصمود والتحدي، وحرية المشاركة في مسيرة الأربعين بالحضور وشرف تقديم الخدمة والتطوع والتعبير بجميع أشكال الولاء للحسين (عليه السلام)، وحرية الاصطفاف مع أحباب الحسين والتحلي بأخلاقهم، ومفارقة أخلاق أعدائهم. وهو معيار عالمي إنساني يكشف عن مدى حب الملايين في مسيرة الأربعين لأولياء الله وأهل الخير والصلاح، والعداء لمبغضهم من أهل الشر والضلal من دون ترهيب ولا ترغيب.

ويقترح ضرورة فتح آفاق جديدة نحو دراسات مسحية ومراقبة المظاهر التطبيقية للقيم الاجتماعية العالمية في مسيرة الأربعين باعتبارها من أهم القيم الروحية والتعبئة المعنوية والهوية الحسينية في مسيرة الأربعين، والحذر وعدم الغفلة من الغزو الفكري والثقافي والروحي لهذه الشعيرة المقدسة.

وتشكيل وحدة بحثية عالمية تضم باحثين من مختلف الشعوب يجمعهم الهوية الحسينية، لعمل دراسات معرفية ومسحية مشتركة لمواجهة تحديات تعزيز القيم الاجتماعية العالمية في مسيرة الأربعين، يتيح لمتخذي القرار مراقبة الوضع وقياس المتغيرات والعمل على التنمية والتطوير بشكل شامل.

كما يقترح مناشدة الدول العربية والإسلامية بالعمل على واجباتهم الأساسية في خدمة زوّار الأربعين؛ لحفظ القيم الاجتماعية العالمية وعالمية مسيرة الأربعين، من خلال: الادارة المنظمة لحشود الزوار في النقل والمرور عبر الحدود، وتقديم صورة صحيحة غير مشوّه عن مسيرة كربلاء في وسائل الاعلام، والابتعاد عن التوترات المذهبية والطائفية، والتركيز على القيم الاجتماعية المشتركة العالمية.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. شريم، إيناس، «دور الزيارة الأربعينية في تنمية فكر الشباب وتربيتهم دينياً»، مجلة السبسط، مج ٧، ع ٢، ص ٧، نيسان .
٢. الصدر، محمد باقر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف، طب ٣، لبنان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٥ .
٣. الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، طب ٣، لبنان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٥ ج ٩٨، ص ٨.
٤. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابوية، ثواب الأعمال، طب ٤، لبنان، بيروت، مكتبة الأعلمي، ٢٠٠٧ ج ٩٨، ص ٨.
٥. الصفار، محمد، شرح زيارة الأربعين، <https://www.youtube.com>، تاريخ الزيارة ٢٥ / ٤ / ٢٠٢٤.
٦. الطبري، محمد بن جرير، تأريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لاطب، مصر، دار المعارف، ١٩٦١ مج ٥، ص ٤٢٥.
٧. الطوسي، محمد بن علي، رجال الكشي، تصحيح حسن المصطفى، لاطب، ايران، مشهد، جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ ش.
٨. فضل الله، محمد حسين، في رحاب أهل البيت، طب ٢، لبنان، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٨ ص ٣٠٠ ص ٢٩٩.
٩. فضل الله، محمد حسين، حديث عاشوراء، طب ١، لبنان، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٧ ص ٢٠ ص ٢٠ ص ٣٩٢.
١٠. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين، طب ٤، ايران، قم، مدرسة العلمية الايرواني، ١٩٩٢ ج ٣، ص ٤٤٥، ج ٣، ص ٤٤٦، ج ٣، ص ٤٤٦.

١١. آل كاشف الغطاء، محمد حسين، نبذة من السياسة الحسينية، طب ١، لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٧. ص ٢١
١٢. ابن قولويه، جعفر بن محمد القمي، كامل الزيارات، ٣٣١. تحقيق جواد القيومي، طب ١، ايران، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ. ص ٣٣٠ ص ٢٥٧، ص ٢٢٧ ص ١٢٤ ج ٢، ص ٥١٥ ص ٩٣
١٣. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، طب ٣، لبنان، بيروت، دار الملاك، ٢٠١٣، ج ١، ص ٦٤٠
١٤. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي (٣٢٩هـ / ٩٤١م)، أصول الكافي؛ طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ج ٢، ص ٢٤٦ ج ٢، ص ١٦٨
١٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، احياء الكتب الإسلامية، لبنان، بيروت، طب ٣، ١٩٨٣. ج ٩٨، ص ٣٣١ ج ٩٩، ص ١٤٥ ج ٩٩، ص ١٤٥ ج ٩٨، ص ٣٣١ ج ٩٨، ص ٩٨٢٩٦، ص ٩ ص ١٧٤ ج ٤٤، ص ١٩٢ ج ٤٤، ص ١٩٢ ج ٤٤، ص ٣٢٩ ج ٦٤، ص ٧٢ ج ٩٨، ص ٣٣١ ج ٤٥، ص ٧٩٨ ص ٩ ج ١١٩٩، ص ١٣١
١٦. مركز كربلاء للدراسات والبحوث، زيارة الأربعين النشرة الإحصائية، -<https://c-karbala.com/>، تاريخ الاطلاع، 2024/4/25 ص 14.
١٧. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، لا طب، بيروت، مؤسسة الخراسان، ٢٠٠٥. مج ١، ص ٢٠٧.
١٨. الأمم المتحدة، دراسة بشأن تعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية عن طريق تحسين فهم القيم التقليدية للبشرية، فبراير، 2012. <https://digitallibrary.un.org>.
١٩. بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، طب ١، لبنان، بيروت، شركة الأعلمي

للمطبوعات، ٢٠٠٩.

٢٠. الجلاي، السيد قاسم الحسيني، كامل مزارات أهل البيت في العراق، طب ١، إيران، قم المقدسة، دار المعروف، ٢٠١٢.

٢١. لريشهرى، محمد، ميزان الحكمة، ط ١، قم: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ.

٢٢. سند، محمد، «أسرار زيارة الأربعين»، مركز الإشعاع الإسلامي، ٦ / ٩ / ٢٠٢٣، <https://www.islam4u.com>، تاريخ الاطلاع ٢٥ / ٤ / ٢٠٢٤.

٢٣. شراد، بشينه، تغير قيم التضامن الاجتماعي في الوسط الحضري، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، الجزائر، ٢٠٢١.

٢٤. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، نهج البلاغه في كلام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب، لبنان، بيروت، الدار الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.

